زمن الخطاب في عرائس المجالس للثعلبي

– دراسة سردية –

✍ إعداد الدكتورة

شريفة بنت إبراهيم بن طالب

أستاذ مساعد في الأدب والنقد - قسم اللغة العربية

كلية التربية بالدلم - جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز بالخرج

ا لمملكة العربية السعودية

SharifabintIbrahim@yahoo.com

زمن الخطاب في عرائس المجالس للثعلبي – دراسة سردية –

شريفة بنت إبراهيم بن طالب

قسم الأدب والنقد – قسم اللغة العربية، كلية التربية بالدلم – جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز بالخرج، المملكة العربية السعودية

البريد الاليكتروني : SharifabintIbrahim@yahoo.com

الملخص:

هدفت الدراسة إلى دراسة زمن الخطاب في كتاب عرائس المجالس للثعلبي وذلك من خلال المنهج الإنشائي عبر ثلاثة مباحث : المبحث الأول:المفارقات الزمنية؛الاستباق والاسترجاع.والمبحث الثاني:المدة. وفيها درست المشهد ،والوقفة (الاستراحة). المجمل الحذف(الإضمار). والمبحث الثالث: وفيه درست التواتر.

وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج منها : لقد وظف الثعلبي الزمن توظيفا فنيا –إلى حد ما– من خلال استخدام تقنيات الاستباق والاسترجاع والمدة والتكرار، فجاء زمن قصص الأنبياء مرتبا في عرائس المجالس لا كما هو في مصادره من القرآن الكريم والحديث الشريف وإنما وفق مقاصد الثعلبي وأهدافه ، حيث اقتربت مدونته من النص القصصي الإنشائي الخالص، وظهرت براعته في امتلاك ناصية الحكي وحسن ترتيبه منطلقا من مقدمة إلى خاتمة. وتوافرت كل تقنيات الزمن في مدونة الثعلبي ولكن بشكل متفاوت ، وأسهمت في تحريك السرد تارة وتوقفه تارة أقل ، وكان لتواتر الأخبار منحى دلالي وكذلك للوصف والوقفات .

الكلمات المفتاحية: زمن الخطاب . عرائس المجالس . الاستباق والاسترجاع . المدة والتكرار.

The Time of the Speech in the Brides of the Councils of the Fox - An Narrative Study -

Sharifa bint Ibrahim bin Talib
Department of Literature and Criticism - Department of Arabic Language, College of Education in Dammam - Prince Sattam bin Abdulaziz University in Al-Kharj, Kingdom of Saudi Arabia
Email: SharifabintIbrahim@yahoo.com

Abstract

The study aimed to study the time of rhetoric in the book Brides Councils for Al-Thaalabi, through the structural approach through three topics: The first topic: time differences, anticipation and retrieval. And the second topic: duration. And in it I studied the scene, and the pause (rest). Overall deletion (pronoun). And the third topic: It included the frequency.

The study reached a number of results, including: Al-Thaalabi has used time technically - to a certain extent - through the use of techniques of anticipation, retrieval, duration and repetition, so the time of the stories of the prophets is arranged in the brides of the councils, not as it is in its sources from the Noble Qur'an and the hadith, but according to the purposes of Al-Thaalabi And his goals, as his blog approached the pure textual constructive story, and his ingenuity in possessing the narration corner and his arrangement appeared from starting to conclusion.

All the techniques of time were available in Al-Thaalaby's blog, but to varying degrees, and contributed to moving the

narration at times and stopping it at a lower time, and the frequency of news had a semantic trend as well as descriptions and pauses.

Key words: speech time - council brides - anticipation and recall - duration and frequency.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

يجمع علماء السرد البنيويون على أن الحكي يقوم على عنصرين أساسيين: " أولهما: أن يحتوي على قصة ما، تضم أحداثا معينة، وثانيهما: أن يُعيّن الطريقة التي تُحكى بها تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سردا، ذلك أن قصة واحدة يُمكن أن تحكى بطرق متعددة، ولهذا السبب فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي" (١). فكل حكي يتم من خلال مكونين مركزيين : القصة والخطاب، والقصة هي المادة الحكائية ،ويمكننا تلخيصها إلى جمل مركزة تضم موادها الأساسية (شخصيات –أحداث –زمان –مكان ...) ، أما الخطاب فهو طريقة الحكي ،وهوالذي يعطي الحكاية تركيبها أو نحويتها(٢).

ولذلك ينظر البنيويون إلى القصة من زاويتين: بوصفها حكاية وبوصفها خطابا:

١- (القصة من حيث هي حكاية): يتم التمييز فيها بين مستويين هما :منطق الأحداث من جهة والشخصيات وعلاقاتها بعضها ببعض من جهة ثانية .

٢- (القصة من حيث هي خطاب): فيركز على تحليله من خلال ثلاثة جوانب: زمن الحكي ، وصيغه ، وجهاته(٣) .

والخطاب: "يظهر من خلال وجود الراوي الذي يقوم بتقديم القصة ، وبحيال هذا الراوي هناك القارئ الذي يتلقى هذا الحكي . وفي إطار العلاقة بينهما ليست الحكاية المحكية هي التي تهمنا (القصة) ،ولكن الذي يهم الباحث في الحكي بحسب هذه الوجهة هو الطريقة التي بواسطتها يجعلنا الراوي نتعرف على تلك الأحداث (الخطاب)" (٤).

---

(١) حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، لمركز الثقافي العربي،ط١، .ص:٤٥.

(٢) انظر :سعيد يقطين ،تحليل الخطاب الروائي،٥٠

(٣) انظر :سعيد يقطين:تحليل الخطاب الروائي(الزمن– السرد– التبئير)،المركز الثقافي العربي،ط٤،بيروت،لبنان، الدار البيضاء، المغرب ٢٠٠٥، ص٣٠ وللاستزادة انظر: محمد القاضي: تحليل النص السردي. ص ومعجم السرديات إشراف محمد القاضي.ص

(٤) سعيد يقطين ،تحليل الخطاب الروائي،٣٠

ذلك "أن أدبية النص إنما تتمثل في الخطاب أساسا، ويذهب جل أهل النظر إلى كون الخطاب مجلى "الأدبية " بل ذهب جينات إلى حد اعتبار طرائق السرد أهم خصائص النتاج السردي، وبها يتميز من سائر ضروب الكتابة "(١).

وقصص الأنبياء حكيت في القرآن إجمالا، ثم تناولتها سرود مختلفة فأضافت إليها وحذفت منها وقدمت وأخرت، ومن بين هذه السرود المدونة التي سنعمل عليها.لذلك لن نتطرق لقصة النبي كما هي حكاية أو كما جاءت في القرآن الكريم . وإنما من خلال خطاب الثعلبي الذين أعاد تشكيلها وروايتها .

وقد اقتصرت في هذا البحث على دراسة الزمن في الخطاب، و"الخطاب الأدبي؛ مادة لغوية يركبها منشئ بعينه، ويتلقاها في القصص المكتوب الذي يعنينا قارئ معين"(٢)، وهذه المادة تختلف أدواتها ومكوناتها وسماتها باختلاف غاياتها وتباين رواتها ، لذلك سيكون التركيز في هذا البحث على الخطاب كما حدده الإنشائيون، عبر ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :المفارقات الزمنية .

- **الاستباق والاسترجاع.**

المبحث الثاني :المدة .

أ- تقنية الإبطاء:

١- المشهد.

٢- الوقفة (الإستراحة).

٣- المجمل

٤- الحذف/الإضمار.

المبحث الثالث: التواتر.

(١) الصادق بن الناعس قسومة:علم السرد (المحتوى والخطاب والدلالة)، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص٢١١

(٢) خطاب الحكاية،بحث في المنهج:جيرار جينيت، ترجمة: (محمد معتصم،عبد الجليل الأزدي،عمر حلى)، ط٢،ص:٤٠

التمهيد:

يعد البحث في بنية الزمن من الركائز الأساسية التي يُعتمد عليها في استخلاص إنشائية النص القصصي، وهذا ما ركز عليه علماء السرد بدءاً من الشكلانيين الروس ومن تلاهم.

وينطلق جيرار جينيت في تحليله لبنية الخطاب السردي، من التقسيم الذي اقترحه تزفيتان تودوروف عام ١٩٦٦م، حيث يصنف مسائل الحكاية إلى ثلاث مقولات: مقولة الزمن ؛ التي يعبّر فيها عن العلاقة بين زمن الحكاية وزمن الخطاب، ومقولة الجهة؛ أو الكيفية التي يدرك بها السارد الجهة، ومقولة الصيغة ؛أي نمط الخطاب الذي يستعمله السارد(١).

ومن هنا يمكننا أن نبحث عن الترتيب الزمني في عرائس المجالس أي: المفارقات الزمنية من تقديم وتأخير، وكيف استطاع الثعلبي أن يتلاعب بزمن القصة ويقدمها بالترتيب الذي يريد، ويشكل مفارقات زمنية تسهم في أدبية القصة التي أعاد سردها وفق رؤيته وطريقته الخاصة.

كما يدخل في بنية الزمن السردي ما يصطلح عليه بالاستغراق الزمني الذي يقاس بالمدّة (الإيقاع الزمني)، ويمكن قياس الاستغراق الزمني من خلال المدّة التي حددها الإنشائيون بأربع تقنيات هي: الحذف أو القطع، الخلاصة أو التلخيص، المشهد أو الحوار، والاستراحة أو الوقفة الوصفية(٢).

(١) انظر: جيرار جينيت،خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى ص:٤٠.
(٢) انظر: حميد لحمداني،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص:٧٥-٧٦.

وضمّن "جيرار جينيت" في بنية الزمن ما يصطلح عليه بالتواتر أو التردد، حيث يقول:"لم يدرس نقاد الرواية ومنظروها ما أسميه تواترا سرديا؛ أي علاقات التواتر أو بعبارة أكثر بساطة (علاقات التكرار بين الحكاية والخطاب)، لم يدرسوه إلاّ قليلا حتى الآن، ومع ذلك فهو مظهر من المظاهر الأساسية للزمنية السردية"(١). فالذي نعنيه من مقولة الزمن في الخطاب هو كيفيه تقديم الأحداث من حيث ترتيبها ، ومدتها الزمنية ، وتواترها في الخطاب مقارنة بزمن الحكاية كما يفترض أنها جرت بالفعل. « فللأحداث –نظريا – زمن تتنزل فيه ندركه من السياق أو من مألوف العادة إلا أنها حين تذكر في الخطاب تتخذ زمنية جديدة هي التي تهبها وجودها النصي، وهذا الجانب هو الذي يعنينا في دراستنا لخصائص الخطاب السردي » (٢).

(١) جيرار جينيت،خطاب الحكاية،ص١٢٩. * هذه المقولة قالها سنة ١٩٧٢م عندما كتب خطاب الحكاية.

(٢)محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي ، دراسة في السردية العربية،منشورات كلية الآداب منوبة تونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،الطبعة الأولى ١٩٩٨،ص٣٩٧.

المبحث الأول:

الترتيب أوالمفارقات الزمنية.

ونقصد بالمفارقات الزمنية انزياح الزمن الفني التخييلي (زمن الخطاب)، عن الزمن الحقيقي الفيزيائي (زمن القصة)؛ لذلك «يرى نقاد الرواية البنيويون أنه عندما لا يتطابق نظام السرد (الخطاب) مع نظام القصة فإننا نقول إن الراوي يولّد مفارقات سردية" (١)، أو مفارقات زمنية و"تعني دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة نظام الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة، وذلك لأن نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة، أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة أوتلك" (٢). ويوضح جينيت؛أن المفارقات الزمنية السردية هي أشكال التنافر بين ترتيب القصة وترتيب الحكاية(٣).وبتعبير أوضح: "يُتبين الترتيب الزمني بمقارنة ترتيب الأحداث، أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع الأحداث أو المقاطع نفسها في الحكاية وهذا النظام يستدل عليه بالقرائن النصية المبثوثة في النص "(٤).

إن دراسة الترتيب الزمني في القصة تخول لنا الوقوف على ما أدخله الراوي على نظام ترتيب الأحداث من تحويرات يمكن اختصارها في إجرائين أساسيين هما الارتداد أو الاسترجاع "وهو التقهقر إلى نقطة في الزمن تخطاها السرد"،والاستباق. لذلك اصطلح عليها علماء السرد بالمفارقات الزمنية السردية(٥).

ويسهم الاسترجاع و الاستباق في ترتيب الأحداث؛ حيث يتلاعب الراوي بالزمن من خلال تقديم الأحداث أو تأخيرها، ذلك أن "الإمكانات التي يتيحها التلاعب بالنظام الزمني لا حدود لها، فقد يبدأ الراوي السرد في بعض الأحيان بشكل

(١) حميد الحميداني، في بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص٧٤.
(٢) جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص،٤٧.
(٣) انظر: (م.ن)، ص:٤٧.
(٤) (م.ن) ص:٤٧.
(٥) انظر :محمد القاضي وآخرون،معجم السرديات،.ص:٨٧-٨٨.

يطابق زمن القصة، ولكنه يقطع بعد ذلك السرد ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السرد عن مكانها الطبيعي في زمن القصة "(١).

أولا: الاسترجاع:

والارتداد إلى الماضي يسمى استرجاعا، وللاسترجاع شعريته الخاصة في تأثيث النص؛ " لأنه يأتي لملء الفجوات الزمنية التي خلفها السرد وراءه، مما يساعد على فهم مسار الأحداث واستكمال ما نقص منها، أو عند عودة شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد، فيأتي الاسترجاع ليطلعنا على ما حدث لها فترة غيابها، وقد يتركز الاسترجاع حول ماضي الشخصية [...]، فيأتي حاملا إضاءات متعددة تسهم في تفسير حاضرها"(٢).

ثانيا: الاستباق:

ويكون عندما يعمد الراوي إلى " استباق الأحداث في السرد بحيث يتعرف القارىء إلى وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في زمن القصة "(٣)، ليضفي على السرد عنصر التشويق لمتابعة الأحداث.

وبالتالي فإن المفارقة الزمنية السردية إما أن تكون استرجاعا لأحداث ماضية أو تكون استباقا لأحداث لاحقة (٤).

لئن كانت القصة في القرآن الكريم مرتبة لحكمة أرادها الله، وفيها من الأبعاد الزمنية ما لايدرك مراميه إلا الله، فإن ساردي قصص الأنبياء حاولوا في مصنفاتهم التفنن في إعادة ترتيبها، وتوزيعها بما يناسب مقاصدهم، ويوافق مراميهم، وقد كان دأبهم في تلك المدونات جمع كل قصة من قصص الأنبياء لتصبح مكتملة متسلسلة، واعتمد أغلبهم في ذلك على التاريخ والإسرائيليات، إلى غير ذلك من المصادر التي توافرت لهم – وسيأتي ذكرها –؛ لذلك جاء بناء القصة في ترتيبها مخالفا لما جاء في القرآن الكريم أولا، وجاء موافقا لأهواء المؤلفين ووجهات نظرهم وتوجهاتهم ثانيا.

(١) حميد لحمداني،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،ص:٧٤.
(٢) حسن حجاب الحازمي،البناء الفني في الرواية السعودية،ص:٣٩٠.
(٣) حميد لحمداني،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،ص:٧٤.
(٤) انظر:حميد لحمداني،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ص:٧٤.

كذلك نجد الاسترجاع داخل النص فيما يضيفه الثعلبي على مروياته كما في قصة يوسف، حيث يورد الثعلبي أحداثا لم تذكر في القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام عندما استخرجته القافلة السيارة من البئر فيورد عنوانا جانبيا: في "الطريق إلى مصر"(١) ويروي كيف أن يوسف مرّ بقبر أمه: " لم يتمالك أن رمى نفسه عن الناقة إلى القبر، وهو يقول:يا أمي يا راحيل[...]، انظري إلى ولدك يوسف وما لقي من بعدك من البلاء، يا أماه لو رأيت ضعفي وذلي لرحمتني، يا أماه لو رأيتني وقد نزعوا قميصي وشدّوني، وفي الجبّ ألقوني، وعلى حرّ وجهي لطموني، وبالحجارة رجموني ولم يرحموني، وكما تباع العبيد باعوني»(٢). نلاحظ هنا أن ابن إسحاق لم يعتمد الإسناد وإنما أنشأ قصة متخيلة لما قاله يوسف أمام قبر أمه وهو يسترجع ما حدث له مع إخوته، فالذي حدث ليوسف يعد من الماضي ولكن يوسف يعيد استرجاع تلك الأحداث المؤلمة.

ثم يستبق الثعلبي الأحداث عند ذكره رؤيا الملك فيلخصها بأسلوبه كاملة ثم يوردها مباشرة مكررة بالتفسير فهو بهذه الطريقة يستبق القصة ثم يفصّل فيها: "فأتاه فقال: يا يوسف إن الملك قد رأى كذا وكذا فقص عليه الرؤيا فقال فيها يوسف ما ذكر الله تعالى لنا في الكتاب[...]، قال ابن عباس: لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فأتى ليوسف فقال له: {أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ} [سورة يوسف:٤٦] يعني فيما عبّرت لنا من الرؤيا، والصّديق هو كثير الصدق، {يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ} إلى قوله: {لَّعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾} [سورة يوسف:٤٦]، أي فضلك وعلمك[...] وعرف الملك أن الذي قال كائن"(٣). في هذا المقطع يتجلى الاستباق في قول الراوي عندما ذكر القصة مستبقا الأحداث ثم أعادها مفصلة. كما يتجلى الاستباق في قول الملك:" وعرف الملك أن الذي قال كائن"، ويتجلى الاستباق في ذكره الآية لأن ما ذكره يوسف من تعبير للرؤيا لم يحدث بعد، وإنما هي رؤيا استشرافية ستحدث فيما بعد.

(١)الثعلبي، قصص الأنبياء، المسمى عرائس المجالس ط١،ص:١٥٠
(٢) (م.ن) ص:١٥٠.
(٣) (م.ن)،ص: ١٥٨.

ومن أمثلة الاستباق والاسترجاع ماجاء في قصة إبراهيم كما يرويها الثعلبي، حيث أوردها بعد قصة صالح في ثلاثة أبواب يتسلسل فيها القص في خط متتابع :مولد إبراهيم، ثم محاجة قومه، ثم مولد إسماعيل وإسحاق...، ثم في الباب الرابع يقفز إلى مرحلة تاريخية ستكون فيما بعد في الفترة التي تسبق زمان النبي محمد –ﷺ – في القول على بقية قصة زمزم:" قال عبد المطلب بن هشام:بينما أنا نائم في الحجر، إذ أتاني آت:فقال لي:احفر طيبة[...]"(١)، ثم يأتي الباب الخامس :في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا، وتعد العودة إلى الماضي البعيد إلى زمن آدم استرجاعا، إذ إن الثعلبي يقص قصة إبراهيم ثم يرتد بالزمن إلى آدم وذلك ليبين أول بناء للكعبة ويبين أصلها: "كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة[...]"(٢) "، ثم يعود الثعلبي إلى زمن إبراهيم وهو زمن حاضر بالنسبة إلى أحداث القصة، ثم يتجاوز الحاضر إلى المستقبل في حركة استباقية ليبين مستقبل الكعبة فقال:"فلم يزل البيت على مابناه إبراهيم –عليه السلام – إلى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد –صلى الله عليه السلام وذلك قبل مبعثه بخمس سنين، فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها " (٣)، وإذا كانت هذه العودة والارتداد إلى الماضي "غايتها إتمام الفهم أو تدارك النقص أو توضيح الغموض الحدثي "(٤)، فإن الثعلبي في مواضع أخرى لا يروم هذه الوظيفة ولكن يريد الإدهاش وتمطيط الكلام، من ذلك ما ذكره في الباب الأول في بدء الخلق وكيفيتها: "روت الرواة بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والأرض، ثم نظر إليها نظرة هيبة فصارت ماء [...]ولما خلق الله الأرض كانت طبقا واحدا[...]، ثم بعث الله من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض [...]، حتى دخل تحت الأرضين السبع[...]، فلم يكن لقدميه موضع قرار، فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن[...] وجعل قرار قدمي الملك على سنامه، ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار، فخلق الله تعالى صخرة خضراء[...]، فاستقرت قوائم الثور عليها، وهي الصخرة التي

(١) الثعلبي، قصص الأنبياء المسماة عرائس المجالس، ص:٨٥
(٢) (م.ن) ص٨٤.
(٣) (م.ن) ص:٥١
(٤) الصادق بن قسومة:علم السرد (المحتوى والخطاب والدلالة)، ص:٢٢٢.

قال لقمان لابنه { يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ } [سورة لقمان:١٦]، روي أن لقمان لما قال هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته"(١)، ولا شك في أن الحديث عن بداية خلق الأرض، يبدو منطقيا من حيث بداية سير الأحداث الأصلية لأنه في الترتيب الحقيقي لخلق الأرض هي أول ما يبدأ به القاص وإن بدا هذا الحديث في حد ذاته استرجاعا لما قالته الرواة من قبل، إلا أن الراوي وهو يُحدِّث يَعتبر هذا الحدث متزامنا مع بداية خلق الأرض، ولكنه أثناء حديثه يستبق الأحداث فيتحدث عن لقمان قبل أن يتحدث عن أدم، لأنه في ترتيب الأحداث كما يفترض أنها حدثت يأتي خلق الأرض ثم خلق آدم، ثم بعض الأنبياء، ثم لقمان ولكن ربما لضرورة منهجية قدّم القاص قول لقمان في إطار حديثه عن بدء خلق السموات والأرض لذلك يعد هذا المقطع(الحديث عن لقمان) استباقا للأحداث.

كما افتتح الثعلبي قصة يوسف عليه السلام بالآية:"فلما رأينه أكبرنه "(٢)، إذ استبق قصة يوسف بهذه الآية القرآنية التي تدل على أن بلاء يوسف متأت من جماله وحسن خلقته.

ثم أفاض الثعلبي في وصف هيئة يوسف – عليه السلام– وذكر الأحاديث والمرويات في وصف خلقته وشكله ثم يرجع فيقول:"القول في القصة، قال أهل العلم بقصص الأنبياء وأخبار الماضين:كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف –عليهما السلام– وبدء محبة يعقوب له، وإيثاره على سائر ولده "(٣)، وكذلك يقول في موضع آخر:"رجعنا إلى قصة يوسف –عليه السلام–وإخوته بعد ما ألقي في الجب"(٤).

ومنه أيضا الاسترجاع الذي جاء في قصة يوسف بن يعقوب: "فقال السدّي وغيره فلما عرّفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال:ما فعل أبي من بعدي؟ قالوا ذهبت عيناه، فأعطاهم قميصه. قال الضحاك: كان ذلك القميص من نسج الجنة، وكان فيه ريح الجنّة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم إلا صح وعوفي، فأعطاهم

(١) الثعلبي: قصص الأنبياء، ، ص:٥–٦.
(٢) (م.ن) ، ص٩٧.
(٣) الثعلبي، قصص الأنبياء، المسمى عرائس المجالس ص:١١٢.
(٤) (م.ن) ص:١٢٠

يوسف ذلك القميص، وهو الذي كان لإبراهيم وقد مضت قصته "[1]، وقول الضحاك يبدو استرجاعا لما قيل للقاص ولكن الضحاك بالنسبة للأحداث جاء قوله متأخرا، لذلك يعمد القاص دائما إلى تدعيم كلامه بقول المحدثين وأهل التاريخ، ولعل مزج هذا المقطع داخل قصّه للقصة يعد من قبيل الاستباق تأكيدا للكلام وإضفاء للقدسية على القميص.

وبعد تتبع الأحداث في مدونة البحث وجدنا أن الاستباقات أقل انتشارا من الاسترجاع لكنه ليس أقل منه أهمية، فقد يوجد في افتتاح النص أو العنوان ليستشرف أو يتنبأ بما فيه أو ليخبرنا مسبقاً بالطابع العام للحكاية كما رأينا في قصة يوسف عند الثعلبي أو قصة ابتداء الخلق عند ابن كثير، وللاستباق والاسترجاع وظائف عدة منها:

أن الاسترجاع يسهم في:

-إتمام الفهم أو تدارك النقص، و توضيح الغموض الحدثي.

-وظيفة ذاتية لرغبة في ذات القاص.

أما الاستباق فيسهم في:

-سد ثغرة لاحقة في النص.

-الإنباء بما سيحدث لاحقاً من أحداث.

-خلق حالة انتظار وترقب عند القارئ[2].

وللاستباق في عرائس المجالس دوره في محاولة ترتيب القصة والتشويق لها.

(١) (م.ن) ص:١٤٠.

(٢) انظر: الصادق قسومة:علم السرد (المحتوى، لخطاب، لدلالة)، ص:٢٢٢-٢٢٣.

المبحث الثاني:

المدة.

يوضح هذا المستوى الاستغراق الزمني بين مدّة الأحداث في الحكاية كما يفترض أنها جرت بالفعل، ومدة السرد، "وإذا كانت دراسة مدة الاستغراق الزمني (La durée) وقياسها غير ممكنة في جميع الحالات، فإن ملاحظة الإيقاع الزمني ممكنة دائما بالنظر إلى اختلاف مقاطع الحكي وتباينها، فهذا الاختلاف يخلّف لدى القارىء دائما انطباعا تقريبيا عن السرعة الزمنية، أو التباطؤ الزمني من خلال التقنيات الحكائية التالية:

-الخلاصة(Sommaire)، -الاستراحة(Pause)، -القطع(L'éllipse)، -المشهد(Scène) " (١).

ويمكن تصنيف تقنيات الإبطاء، وتقنيات تسريع السرد من أجل معرفة الإيقاع الزمني للحكي في مدونات قصص الأنبياء؛ لذلك يعتبر المشهد والاستراحة(الوقفة) من التقنيات التي تسهم في تباطؤ السرد، في حين يسهم القطع والخلاصة في تسارع السرد.

أولا: تقنيتا الإبطاء (التبطئة):

وتختص التقنيتان بالتقليل من سرعة السرد؛ أي تهدئة السرد، و تتجلى في (المشهد، والوقفة).

(١) حميد لحمداني:بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،ص:٧٦.

١ – المشهد:

يعتبر المشهد مقطعا حواريا « يكون بالتناسب بين حيز الحكاية وحيز قصها في الخطاب، وأكثر ما تكون هذه الظاهرة في الحوار، إذ يفترض أن حيز الزمن الذي استغرقته الأقوال في المحتوى مساو للحيز الذي استغرقه قصها في الخطاب، وهذا راجع إلى أن الحوار تمثيل لما حصل وليس فيه تصرف"(١).

إن الشكل الخالص للمشهد يمثله محكي الكلام، حيث يكون السارد في أدنى درجاته، إذ يبعد تماما فيظهر حوار الشخصيات والمنولوج الداخلي، وفي المشهد يتطابق زمن المحكي مع زمن الحكاية(٢).

فالراوي لا يظهر هنا بل يترك الشخصيات تتحدث عن نفسها دون تدخل منه، مما يكسب هذه المقاطع طابعاً مسرحياً، مقابل الطابع السردي الصرف الذي تتصف به الخلاصة، وهو ما ينعكس على مستوى القراءة على شكل إحساس بالمشاركة فيما يحدث.

ويعطي المشهد للقارئ إحساسا بالمشاركة الجادة بالفعل؛ إذ إنه يسمع عنه معاصراً وقوعه كما يقع بالضبط، و في لحظة وقوعه لا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التي يستغرقها صوت الروائي في قوله، والمشهد تفصيل للسرد وإبطاء له، فيطيل السارد التوقف عنده مدة طيلة الحوار، وإن كانت العلاقة الزمنية القائمة في المشهد مساوية للقيمة الزمنية في الحكاية إلا أن الإحساس العام للقارئ هو أن السرد يسير ببطء(٣).

ويمكن أن نمثل للمشهد ببعض المقاطع من عرائس المجالس:

ماجاء في قصة يوسف حيث ذكر مشهدا طويلا بين يوسف وزوجة العزيز أثناء مراودتها له: «وروى إسحاق بن يسار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن

(١) الصادق قسومة:علم السرد، ص: ٢٣٣.
(٢) انظر: جيرار جينيت وآخرون:نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، ص:١٢٦.
(٣) انظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء . الزمن . الشخصيّة) . ، ص ١٢١، وما بعدها.وانظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن . السرد . التبئير) ط١ . . ص ٢٩ وما بعدها.وانفتاح النص الروائي . ط١ . ص ٤٩

عباس فيما كان من محاورتهما قال: قالت:يا يوسف ما أحسن شعرك! قال:هو أول شيء يبلى إذا مت.

قالت: يا يوسف، ما أحسن وجهك!

قال: ربي تعالى صورني في الرحم.

قالت: يا يوسف قد أنحلت جسمي بصورة وجهك

قال: الشيطان يعينك على ذلك[...]"(١).

ولعل التركيز على ما تقوله زوجة العزيز، وإطالة المشهد بهذه الطريقة، خاصة في هذا الموقف، له ما يبرره عند القاص؛ لأن هذا الحوار لم يرد في القرآن الكريم؛ بل على العكس من ذلك جاء في القرآن مقتضبا عابرا، مما يؤكد أن هذا الحوار، وهذه الزيادات أضافها القاص لإضفاء عنصر التشويق، وجذب القارئ الذي يأنس لمثل هذه المشاهد والحوارات.

ومما جاء من المشاهد: الحوار الذي دار بين النسر والسمكة أول ما مشى آدم على الأرض بعد خروجه من الجنة:"روى ابن إسحاق قال: بينا آدم يمشي منتصبا، ولم يكن مشى في الأرض حيوان مثله، جاء النسر إلى البحر فقال للسمكة: إني رأيت خلقا يمشي على القدمين، وله يدان يبطش بهما، في يده خمس أصابع، فقالت السمكة: إني أراك تنعت خلقا ما أراه يدعك في جوّ السماء ولا يدعني في قعر البحر"(٢). وهي مشاهد لا يمكن أن يشاهدها أحد، ولم يذكرها القرآن الكريم، ولا الكتب السماوية، ولكنها من صنع الخيال الإنساني، مما يؤكد أن سارد القصة يريد أن يمرر من خلالها أفكاره ومقاصده، ويضفي على القصة عنصر الإمتاع.

والمشاهد والحوارات كثيرة ومتنوعة في كتاب العرائس يجريها بين الإنسان والحيوان والجماد، وفيها من الإبداع والفنية ما يجعلنا نؤكد أنها من صنع السارد ومن صميم خياله وإبداعه، ومن ذلك نذكر حديثه عن هود عليه السلام:

" فبينما هو ذات يوم يصلي، إذ نظرت إليه أمه، فقالت له: لمن يا بني هذه الصلاة والعبادة؟ فقال: لله الذي خلقني وخلق الخلائق أجمعين، فقالت: أليست

(١) الثعلبي،عرائس المجالس ص:١٥٣.

(٢) الثعلبي،عرائس المجالس ص٦٣

لأصنامكم؟ فقال: إن أصنامكم هذه لا تضر ولا تنفع، وإنما هي جمادات وقد زين لكم الشيطان حبها.

فقالت: يا ولدي اعبد إلهك، فقد رأيت منك حين كنت حبلا وطفلا عجائبًا كثيرًة، فمن ذلك يا ولدي: أني لما وضعتك في وادي كذا وكذا، كان هناك أشجارا نخرة، فلما وضعتك صارت نظرة خضرة وتدلت فيها الثمار، وكذلك حين أردت أن أواريك، فدرت بك في سبعين واديًا حتى انتهيت بك إلى آخرها، فنوديت: هاهنا"(١).

ويعد الثعلبي من أكثر القصاص تفننا في المشاهد، وقوفا عندها، وإطالة لها وهذا ماجعل مدونته في نظرنا هي الأكثر أدبية في قصص الأنبياء؛ حيث تكثر المشاهد الحوارية، مما يجعل السرد متباطئا. وقد يطول الحوار إلى أن يكون في صفحات، ومن أطول نماذج الحوار عنده ماجاء في قصة آدم من حوار بين إبليس والطاووس، يقول الثعلبي: " فبينما هو كذلك إذا خرج إليه الطاووس وكان سيد طيور الجنة، فلما رآه إبليس قال له:أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك؟فما رأيت من خلق الله أحسن منك؟ قال: أنا طائر من طيور الجنة اسمي طاووس، فبكى إبليس، فقال له الطاووس:من أنت و مم بكاؤك؟ فقال له إبليس أنا ملك من الملائكة الكروبيين، وإنما بكيت تأسفا على مايفوتك من حسنك وكمال خلقك، فقال له الطاووس أيفوتني ما أنا فيه؟

قال: بلى، وإنك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون إلا من تناول من شجرة الخلد فإنهم المخلدون من تلك الخلائق.

فقال الطاووس: وأين تلك الشجرة؟

قال إبليس: هي في الجنة.

قال الطاووس: ومن يدلنا بمكانها؟

قال إبليس: أنا أدلك عليها إن أدخلتني الجنة.

قال الطاووس: كيف لي بإدخالك الجنة ولا سبيل إلى ذلك المكان..."(٢).

والمشهد هنا طويل جدا يستمر إلى غاية خروج آدم من الجنة ويمتد على مدى صفحتين، مما يدل على أن السرد هنا متباطىء جدا. ولا شك في أن هذا الحوار من

(١) الكسائي، بدء الدنيا وقصص الأنبياء،ص:٢٥٧.
(٢) الثعلبي، قصص الأنبياء ، ص٣٢

افتعال الراوي، وهو مما نقله من الرواة ولكنه أضاف إليه من خياله وأفكاره، ولو عدنا لهذا الخبر عند محمد ابن إسحاق لوجدناه مجملا في كتابه المبتدأ في قصص الأنبياء(١)، ومجملا في قصص الأنبياء لابن كثير(٢)، مع اختلاف الصيغة السردية وهذا ما يؤكد تفرد كل قاص بطريقته في سرد الأحداث، والتحكّم في النظام الزمني.

وفي مواضع أخر نجد بعض المشاهد القصيرة كقوله: "قال وهب بن منبه:إن داوود عليه السلام أتاه نداء: أنّي قد غفرت لك، فقال: يا رب كيف وأنت لا تظلم أحدا؟ فقال: اذهب إلى قبر أوريا فناده وأنا اسمعه نداءك، فتحلل منه "(٣).

ومن بين المشاهد التي لا تدخل في باب القصة وإنما هي حوارات حول القصة أو حول شخصياتها ما جاء عند الثعلبي في الباب السادس الموسوم بـ: " في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده "حيث ذكر هذا الحوار بين المحدّثين: " وروى شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال: افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله" (٤)، وإنما ذكر هذا الحوار – المحسوب على المدّة الزمنية في السرد– لكي يبين اختلاف الروايات في تحديد الذبيح هل هو إسحاق أم إسماعيل؛ لأنه يورد هذه المشاهد وراء بعثها من أجل أن يثبت أيهما كان الذبيح لذلك يستشهد بقول آخر لعمر بن عبد العزيز الذي كان يستفسر عن الذبيح، فسأل يهوديا حسن إسلامه، وكان من علماء اليهود: «فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك [...]، فقال له: أيّ ابْنيْ إبراهيم الذي كان أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل، ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إنّ اليهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب[...]فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق؛ لأن إسحاق أبوهم "(٥)، فذكر الثعلبي هذا الحوار لكي يفند مقولة اليهود.

(١) انظر: محمد بن إسحاق،المبتدأ في قصص الأنبياء، ص:٦٠.
(٢) انظر: ابن كثير،قصص الأنبياء،ص:١٧
(٣) الثعلبي،قصص الأنبياء ، ص:٢٨٦
(٤) (م.ن)،ص:٩٣.
(٥) الثعلبي،قصص الأنبياء ص:٩٤

٢ . الوقفة (الاستراحة):

تسهم الوقفة في تباطؤ السرد؛ أي يتوقف السارد عن الحكي ليشرح أو يصف شخصية أو فضاء. وتتحقق هذه الصيغة عادة بإبطاء السرد من خلال الوصف، ويكون فيها زمن القصة أكبر من زمن الحكاية بصورة واضحة، وتكون الوقفة الوصفية ذات كتابة مطلقة؛ لأنها تستند لتعطيل فاعلية الزمن السردي من خلال تعداد ملامح الأشياء وخصائصها(١).

والوقفة عادة تقتضي انقطاعا في السيرورة الزمنية: " وتتعلق بالمقاطع التي تتوقف فيها الحكاية وتغيب عن الأنظار، ويستمر الخطاب السارد وحده، إن الوقفة اختلال زمني غير سردي"(٢)، وتوقف تام للحكاية من خلال تعليقات الكاتب عندما يتوقف للوصف أو للتعليق، بعبارة أوضح "هي مقولة زمنية تحيل على التغيرات التي تطرأ على نسق السرد وإيقاعه[...]، ويشير مصطلح " الوقفة"إلى مواضع في القصة يتعطل فيها السرد وتُعلق الحكاية ليُفسح المجال للوصف، أو للتعليق أو التأمل أو غير ذلك من الاستطرادات التي تدرج ضمن ما يسمى ب: "تدخّلات المؤلف"، فالوقفة تجسد إذن أقصى درجات الإبطاء في السرد إذ إنّ الحيّز الذي تحتله في الخطاب لا توافقه مدّة زمنية من الحكاية[...]، ويجدر التنبيه إلى أن كل وقفة ليست بالضرورة وقفة وصفية مثلما أن كل وصف لا يترتب عليه حتما توقّف في الحكاية"(٣).

كما تقتضي الوقفة الوصفية أن يكون الوصف مثيرا ومبررا في الوقت نفسه.(٤)

والوقفات كثيرة في مدونة قصص الأنبياء، وأحيانا تكون في خدمة النص، وتكون ذات أبعاد فنية وجمالية كما عند الثعلبي، وأحيانا تكون معطلة للسرد، ومعرقلة لانسيابه :

(١) انظر: مستويات السرد عند جيرار جينيت،عمر عيلان، مقال منشور على الشبكة، موقع ستار تايمز.
(٢) جيرار جينيت وآخرون،نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، ص:١٢٧.
(٣) محمد القاضي وآخرون،معجم السرديات.ص:٤٧٨.
(٤) انظر: جيرار جينيت، حدود السرد ، ترجمة: بنعيسى بو حمالة، ١٩٩٨م، ص ٦٠

من أظهر مظاهر الوقفة عند الثعلبي أن يقطع السرد بجملة معترضة: (فيما يذكرون، أو فيما ذكر لي) وهذا كثير عنده كما في قوله: " وساق الله السحابة السوداء– فيما يذكرون – التي اختارها قيل بن عتر بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له: المغيث، فلما رأوها استبشروا بها [...]، وكان أول من أبصر ما فيها، وعرف أنها ريح – فيمايذكرون– امرأة من عاد يقال لها: مهدد فلما تيقنت ما فيها صاحت " (١). كما نلاحظ أيضا في هذا المقطع وقفة تفسيرية " التي اختارها قيل بن عتر بما فيها من النقمة "لأنه يفسر كلامه لكلمة سحابة سوداء من خلال الراوي بن عتر فجاءت هذه الوقفة قاطعة للكلام، فلو حذفنا بعض المقاطع لكان السرد مسترسلا دون توقف؛أي إذا أردنا أن نقرأ المقطع دون توقف نقول:" وساق الله السحابة السوداء إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد، فلما رأوها استبشروا بها [...] وكان أول من أبصر ما فيها، وعرف أنها ريح، امرأة من عاد يقال لها: مهدد، فلما تيقنت ما فيها صاحت".

ومما جاء عنده أيضا من وقفات قوله: "وقد كان قيل – فيما يزعمون والله أعلم – لمرثد بن سعد، ولقمان بن عاد، وقيل ابن عتر، حين دعوا بمكة: قد أعطيتم مناكم، فاختاروا لأنفسكم " (٢).

وتوظيف الوقفة كان مكثفا عند الثعلبي الأمر الذي جعل نصوصه أكثر شعرية. يقول في قصة لقمان الحكيم عليه السلام:

"كان لقمان عبدا أسود، عظيم الشفتين، مشقق القدمين، وروى الأوزاعي عن عبدالرحمن بن حرملة قال: جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله، فقال له سعيد بن المسيب: لا تحزن من أجل أنك أسود، فإنه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان: بلال، و مهجع مولى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، و لقمان الحكيم كان أسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر ".(٣) في المقطع السابق نجد أن الوقفة تتمثل في عبارة" عظيم الشفتين مشقق القدمين" وهي وقفة وصفية تصف لقمان، ثم يعد تدخُّل الراوي بقوله:" وروى الأوزاعي عن عبدالرحمن بن حرملة قال "وقفة غير وصفية.

(١) الثعلبي، عرائس المجالس،ص:٩٠
(٢) (م.ن)ص:٩١
(٣) عرائس المجالس، ص:٩٥

ومن أمثلة الوقفة عند الثعلبي أيضا: ماجاء في" ذكر حلية موسى بن عمران وهارون عليهما السلام: قال كعب الأحبار: كان هارون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بيّن الكلام، إذا تكلّم تكلم بتؤدة وعلم، وكان أطول من موسى، وكان على رأسه شامة، وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء، وكان موسى ابن عمران رجلا آدم جعدا طويلا كأنه من رجال أزد شنوءة، وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة، وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء" (١).

ومن أنواع الوقفة عند الثعلبي ما جاء من تدخل السارد: "يروى أن رسول الله ﷺ لما أسري به إلى السماء بينما هو على البراق وجبريل يمر به إذ وجد رائحة طيبة، فقال: " يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ قال: إنه كان ملك في الزمان الأول له سيرة حسنة في أهل مملكته، وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره، قال أصحاب الأخبار: وكان أبوه ملكا عظيما، فسلّمه إلى المؤدب يؤدبه" (٢).

وهكذا فالوقفة في قصص الأنبياء تؤدي وظائف عدة منها: إعطاء السارد فسحة ومجال للتدخل أو الانتقال من موقف إلى آخر..

ومن ذلك ماجاء عند الثعلبي في قصة صالح عليه السلام:" فلما خرجت الناقة قال صالح: {هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} [سورة الشعراء:١٥٥] فمكثت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء، فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم، فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال لها بئر الناقة، فيرتفع الماء إليها فما ترتفع رأسها إلا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها، فتتفجج ثم تروح عليهم، فيحلبون من لبنها ما شاؤوا، فيشربون ويدخرون ويملؤون أوانيهم، لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه، لأنها لاتقدر أن تصدر من حيث وردت لأنه يضيق عليها.(قال أبو موسى الأشعري:أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا).فإذا كان الغد من يومها شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ماشاؤوا قدر كفايتهم في يوم الناقة..."(٣). فتدخل الراوي

(١) (م.ن)ص:١٨٤
(٢) الثعلبي،عرائس المجالس،ص:٢٢٢
(٣) (م.ن)ص٦٩

وقفة في قوله: (قال أبو موسى الأشعري:أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا).؛لأنه بهذه الطريقة عطّل مسار السرد.

ومن الوقفة التي تأتي كالخاتمة الشعرية للقصة ماجاء في ذكر وفاة داود عليه السلام: " قال الأستاذ – ﷺ-: وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:لايزال المرء ينعى أخاه حتى يكونه، وقد يرجو الرجاء فيحول الموت دونه، وقد نظمه بعض الشعراء فقال:

وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

وإذا وليت أمور قوم مدة فاعلم بأنك عنهم معزول "(١)

وأحيانا تكون الوقفة لذكر حدث مشابه، أو لربط حادثة بأخرى، ومن ذلك ماجاء عند الثعلبي في "ماخص الله به نبيه سليمان عليه السلام":" وقال فرقد السبخي: مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون مايقول هذا البلبل؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: إنه يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا. وأخبرنا أبو عبدالله بن حامد بإسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة، فأخذناهما، فجاءت الحمامة وشكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "من فجع هذه الحمامة بفرخيها؟ فقلنا: نحن، فقال ردوهما إلى موضعهما". وروي أن قنبرة باضت في طريق سليمان عليه السلام، فقال الذكر للأنثى: ألم أنهك أن تبيضي في طريق سليمان الملك؛ لو ركب إلينا لحطم بيضنا، فقالت الأنثى: ويحك إن نبي الله أرحم بنا من ذلك"(٢).

وأكثر ما تكون الوقفة عند الثعلبي لأخذ العظة والعبرة ومن ذلك ماجاء في (مجلس قصة هود عليه السلام) (٣).

(١)قصص الأنبياء ،الثعلبي ،ص ٢٩٤
(٢)(م.ن)ص ٢٩٧
(٣) الثعلبي، قصص الأنبياء ، ص ٦٦

ومنها ماجاء عنده في ختام قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام: " روي أنه قيل له بعد ما عوفي: ما كان أشد عليك في بلائك؟ فقال: شماتة الأعداء، نشد بعضهم في معناه:

كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد

إن المصائب تنقضي أيامها وشماتة الأعداء بالمرصاد

وقال الجنيد: في هذه الآية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال، وذلك قوله تعالى: {فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾} [سورة الأنبياء:٨٤] والوقفة أكثر جمالية وأدبية عند الثعلبي، وكثيرا ماتكون داعمة للسرد، أما ابن كثير فكثيرا ماتكون الوقفة عنده علمية أو حجاجية، تذكيرا ووعظا.

وإذا أردنا أن نقارن الوقفة بين ابن كثير والثعلبي؛ فإننا نجد أن الوقفة تطول لتصبح فصلا كاملا عند الثعلبي كما في قوله "فصل في بعض ماورد من الأخبار الغريبة في الجراد" بعد فصل "الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنا هلاكهم".(١) وأورد أحاديث للرسول محمد صلى الله عليه وسلم عن الجراد.

وكثيرا ما تكون الوقفة آية أو حديث أو حكمة أو طرفة، وتكون مدعمة أو مفسرة للسرد، ومن ذلك ما جاء عند الثعلبي في ذكر ما روي من الأخبار فيمن تراءى له إبليس فرآه عيانا وكلمه شفاها: " يروى أن رجلا كان يلعن إبليس كل يوم ألف مرة، فبينما هو ذات يوم نائم إذ أتاه شخص فأيقظه، وقال: قم فإن الجدار ها هو يسقط. فقال له:من أنت الذي أشفقت علي هذه الشفقة؟ فقال له أنا إبليس، فقال: كيف

(١) الثعلبي، قصص الأنبياء ،ص ١٩٤

هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة! فقال:هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى، فخشيت أن تكون منهم فتنال معهم ما ينالون " (١).

وأحيانا تطول الوقفة فيضطر الراوي للتصريح بالرجوع ،كما عند الثعلبي في قصة بدء أمر الخضر عليه السلام **حيث يقول**:" رجعنا إلى حديث موسى وفتاه"(٢).

ويمكن إجمالا تحديد وظائف الوقفة داخل هذه السرود، حيث نجدها تضطلع بوظيفتين أساسيتين: تتمثل الأولى بالطابع الجمالي الموروث عن البلاغة التقليدية التي كانت تضع الوصف ضمن محسنات الخطاب وزخرفته، ما الوظيفة الكبرى الثانية فهي الوظيفة التفسيرية.

ولاشك في أن الوقفات الكثيرة التي امتاز بها الثعلبي عن غيره من القصاص جعلت قصصه أكثر إثارة وأدبية، لأنها انزاحت كثيرا عن القصص المعهودة في القرآن الكريم، الأمر الذي زادها إغراقا في التخييل وفي الإبداع لتدخل دائرة الأدب الإبداعي، ولاشك في أن هذه التقنيات هي التي تكشف عن فرادة كل قاص ومدى التزامه بالنص ومدى انحرافه عنه، وكلّما ازداد النص انزياحا كلما ازدادت شعريته وأدبيته وهذا ما نجده عند الثعلبي الذي يحاول ملأ الفراغات من أجل شدّ المتلقي وإمتاعه.

أما تقنيتا التسريع فهما اللتان تختصان بتسريع حركة السرد وتتجلى في (المجمل والحذف).

(١) الثعلبي، قصص الأنبياء ، ٤٤
(٢) (م.ن) ، ٢٢٧

٣ – المجمـل:

وهو شكل من أشكال السرد يعتمد على تلخيص الأحداث:" ويطلق هذا المصطلح على مواضع في القصّة يرد السرد فيها مختصرا، وللمجمل شكلان: مجمل الأفعال، ومجمل الأقوال، وقد اكتسى هذا المصطلح مع "جونات"(genette، ١٩٧٢، ١٩٨٣) في سياق دراسته سرعة القص معنى زمنيا، فأطلقه على الحركة السردية المتمثلة في اختزال وقائع قد تستغرق أياما أو أشهرا أو أعواما في حيّز من النص قد يمتدّ على بضعة أسطر أو فقرات أو صفحات، دون تفصيل للأعمال أو الأقوال"(١).

كما يصطلح على المجمل في بعض الكتب بالتلخيص(٢)أو الخلاصة أو الملخص، ويقصد به: تكثيف مدة زمنية طويلة في أسطر قليلة، كأن يتم ذكر سرد عدة سنوات سابقة في عدة فقرات، و عدة صفحات ويتم هذا دون تفاصيل في ذكر الأحداث أو نقل الأقوال ويتخلل التلخيص عبارات الحذف.

كيف جاءت تقنية المجمل في عرائس المجالس ؟

غالبا ما يبدأ الثعلبي القصة بالملخص ثم يعود ليحدثنا عن تفاصيلها كما هو الأمر في قصة يوسف عندما جاء به العزيز إلى بيته حيث يقول السارد: "فلما أتى العزيز بيوسف إلى منزله، وقال لامرأته: أكرمي مثواه، فلما تأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه في قلبها وعشقته، فراودته؛ أي طلبت منه متابعتها على هواها"(٣)، كان التلخيص مركزا على محكي الأفعال ومحكي الأقوال.

والمتأمل في هذا المقطع يجد أن الراوي قد لخّص مراحل يوسف منذ أن دخل بيت العزيز طفلا إلى أن أصبح شابا؛ لأن زوجة العزيز في حقيقة الأمر لم تراود يوسف فور وصوله إلى بيتها، وإنما بقي عندها إلى أن كبر فعشقته، ثم راودته، ولكن ابن إسحاق حاول تسريع السرد لكي يشدّ المتلقي، ثم وقف مطوّلا مطنبا في مشهد

(١) محمد القاضي وآخرون:معجم السرديات،ص:٣٧٣.
(٢) ينظر على سبيل المثال حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، الذي لا يعتمد مصطلح مجمل وإنما اعتمد مصطلح خلاصة.ص:٧٦.
(٣) الثعلبي، عرائس المجالس ص:١٥٢.

المراودة، وما قالته زوجة العزيز ليوسف وما ردّ عليها فكان حوارا طويلا(١)، مع أن هذا الإطناب لم يكن في قصة القرآن الكريم.

ومن أمثلة ماجاء عند الثعلبي في المجمل:"حدّثني بعض أهل العلم بالكتاب الأول، قال: فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم وهمهم بكالب ويوشع، إذ أمراهم بدخول مدينة الجبارين، وقالا لهم ما قالا- ظهرت عظمة الله بالغمام على نار فيه الرمز"(٢)، يبدو هذا المقطع المجمل تلخيصا لما قاله من قبل، ولاشك في أن السبب في هذا التكرار الملخص لما قيل يعتمد عليه الخطاب الشفاهي للحكواتي الذي يتوقف عند نقطة، ثم يكمل في وقت آخر، فتكون بداية المقطع الأول إجمالا لما سبق وأن قيل، وبهذه الطريقة جاء المجمل عند ابن إسحاق، فهو إما أن يكون فاتحة يستهلُّ بها الكلام، ثم يفسّر ما قاله باطناب بعد تلك الفاتحة، و يستفتح بالمجمل للتذكير بما سبق وتلخيصه لكي يستند عليه ويكمل الأحداث.وتختلف طرائق المجمل من سارد إلى آخر.

وأحيانا يتخلل المجمل حذفا للأحداث كما هو الشأن في قوله في حديثه عن موت هابيل: " قال: ثم حمله آدم على عاتقه وهو باكيًا حزينًا، ثم دفنه، ثم بكى هو وحواء عليه أربعين يومًا، حتى أوحى الله عز وجل إليه أن كف عن بكائك، فإني قد وهبت لكما غلاما زكيًا على مثل صورة هابيل، ويكون هو أبو الأنبياء والمرسلين"(٣).

وما لاحظناه عند الثعلبي هو أن المجمل يأتي ممزوجا بالوقفة في معظم كتابه، فهو يعتمد على الوصف (الوقفة /الاستراحة)، الأمر الذي يجعل إيقاع السرد مرة متسارعا ومرة متباطئا، حتى لو كان مجملا نظرا لتلك الوقفات التي تعرقل سير السرد.

ومن أمثلته ما جاء في قوله في قصة أيوب:« وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة، وأنه أوصى عند موته إلى ابنه حومل، وأن الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء إلى توحيده وأنه كان مقيما بالشام... "(٤).

(١) (م.ن)،ص:١٥٣-١٥٤.
(٢) (م.ن)،ص:٢٣٢.
(٣)الكسائي، ص:٢٠٥
(٤) الثعلبي، قصص الأنبياء ،ص:١٦٣

ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله: " قال بعضهم: ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا إلى أرض الروم، فآمنوا به وصدّقوه واتبعوه، ثم إن الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا:... "(١) حيث نجد الثعلبي يجمل الحكاية ثم يبدأ بتفصيلها بإطناب، وهو بذلك يستبق الأحداث في هذا المجمل من أجل اضفاء عنصر التشويق، ثم يسرد باقي القصة.

ومن مظاهر المجمل عند الثعلبي ما يكون مرتبطا بحذف كما في قوله في قصة أيوب – عليه السلام –: "وقال كعب: كان أيوب في بلائه سبع سنين، وقال وهب: لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا "(٢). ويبدو هذا المجمل من حيث الاستغراق الزمني أكبر على الرغم من قصره إلا أنه يلخص فترة مرض أيوب – عليه السلام –.

من ذلك أيضا ما رواه عن الذين أماتهم الله ثم أحياهم: " وروى المنصور بن المعتمر عن مجاهد: أنهم قالوا حين أحيوا: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت، فرجعوا إلى قومهم، وتناسلوا بعدما أحياهم وعاشوا دهرا يعرفون أنهم كانوا موتى، سحنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوبا إلاّ عاد رميما مثل الكفن، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبها الله لهم"(٣).

نلاحظ هنا أنه أجمل القول في ما حدث لهؤلاء في فقرة، وكان يستعين بالحذف مثل "حتى" ليدل على مدة غير محددة يقضونها في الحياة ثم يموتون عندما يصل آجالهم.

ولا يحدث التلخيص هنا بنسبة واحدة بل قد يطول أو يقصر حسب أهمية الاحداث المسرودة.

وهكذا رأينا أن المجمل في مدونة عرائس المجالس قد استعمل لأداء وظائف عدّة منها:

١ . المرور السريع على فترات زمنية طويلة.

٢ . تقديم عام للمشاهد والربط بينها.

(١) (م.ن)ص:١٦٦

(٢) (م.ن)ص:١٦٤.

(٣) (م.ن)ص:٢٥٤.

٣ . تقديم عام لشخصية جديدة.
٤ . الإشارة السريعة إلى الثغرات الزمنية، وما وقع فيها من أحداث.

٤– الحذف/الإضمار:

يقفز السارد على فترة من الزمن، تطول أو تقصر متصلة بالحكاية فيتم الإغفال الكلي والمطلق للأحداث، وطي الأقوال خلال هذه الفترة الزمنية. ولتوضيح المصطلح أكثر فإن" الإضمار أو الحذف مصطلح سردي استعاره الإنشائيون من علمي النحو والبلاغة للدلالة على مظهر من مظاهر تغيّر نسق السرد(...)، ويشكل الإضمار أسرع حركة سردية على الإطلاق؛ إذ هو يتمثل في قفز السرد على فترة زمنية من الحكاية بحيث لا يكون لها وجود في الخطاب(...) تشير إذن إلى أجزاء من الحكاية اختار الراوي إسقاطها لتسريع القص وتكثيفه" (١).

وينقسم الحذف إلى قسمين: منه المعلن الصريح كأن نقول مثلا "مرت عشر سنوات "ومنه المضمر الذي لا تتحدد فيه الفترة الزمنية التي قد تطول وقد تقصر وقد "لا يعلنه النص ولكن يستخلصه القارئ من الفجوات الموجودة في منطق تسلسل الأحداث أو تعاقبها الزمني" (٢).

فيكون الحذف أحيانا صريحا كما في قوله: " قال: فلم يزل الريح يفعل بهم ذلك سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا، يعنى دائمة لا تفتر، فلما كان في اليوم الثامن" (٣).

وأحيانا يأتي مضمرا على حسب سياق السرد، ويتمثل ذلك في أدوات الربط مثل "ثم"، "حتى"، "إلى أن" وهي كثيرة في الكتاب، وتدل على مدّة زمنية محذوفة غير محددة، قد تطول وقد تقصر، والمثال الأول يحيل على حرف "حتى " الذي يدل على الحذف المضمر..

(١) معجم السرديات:ص٢٩–٣٠.
(٢) معجم السرديات،ص:٣٠.
(٣) الكسائي:ص:٢٧٥.

من الحذف الصريح عند الثعلبي: ما جاء في قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام: " وقال الحسن: "كان أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب"(١). وتعد عبارة "سبع سنين وأشهرا" من الحذف الصريح المعلن لأنه حدد المدة الزمنية المحذوفة التي لم يأت على تفاصيلها، وكما هو ملاحظ فإن الحذف عند ابن إسحاق كانت مدته المعلنة ثلاث سنوات في حين نجد أن مدّة الحذف المعلن عند الثعلبي سبع سنوات وأشهر، مما يدل على اختلاف الروايات، وتصرف الرواة فيها.ومما جاء عن الثعلبي أيضا:"ثم إنه لحق بهود ومن معه، وبقي هود ماشاء الله، ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة "(٢). فعبارة ما شاء الله تدل على مدّة زمنية محذوفة غير محددة من عمره.

ومنه ما ختم به الثعلبي قصة أيوب عليه السلام:"وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة، وأنه أوصى عند موته إلى ابنه حومل، وأن الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا، وسماه ذا الكفل، وأمره بالدعاء إلى توحيده، وأنه كان مقيما بالشام طول عمره حتى مات، وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة، وأن بشرا أوصى ابنه عبدان، وأن الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام، والله أعلم "(٣).

ومثال ذلك قصة إدريس عليه السلام كما رواها الثعلبي:"بعثه الله إلى ولد قابيل، ثم رفعه إلى السماء، وكان سبب رفعه... " (٤)، وتنتهي القصة ببيان السبب من دون تفصيل في الزمان ولا في الأحداث.

وهكذا تنوع الحذف في كتاب عرائس المجالس ، بين الحذف الصريح والحذف الضمني، وقد رأينا النص الواحد يحذف بعدة طرق لدى المدونين، ورأينا أن الثعلبي من أكثرهم تنويعا وفنية.

(١)الثعلبي ، قصص الأنبياء ، ص ١٦٣
(٢)(م.ن) ص: ٦٧.
(٣)(م.ن) ص: ١٦٦.
(٤)الثعلبي ، قصص الأنبياء ، ص:٥٠.

المبحث الثالث: التواتر.

يندرج التواتر في مبحث الزمن، وموضوعه " العلاقة بين نسب تكرار الحدث في الحكاية ونسب تكراره في الخطاب، وقد أحصى "جيرار جينيت" حالات سردية ثلاثا: أولاها؛ القص الإفرادي: وهو أن يروى في الخطاب مرة ما حدث في الحكاية مرة، وثانيتها؛ القص التكراري: وهو أن يروى أكثر من مرة في الخطاب ما حدث مرة في الحكاية. وثالثتها؛ القص التأليفي: وهو أن يروى في الخطاب مرّة ما حدث في الحكاية مرّات"(١).

ويرى "جيرار جينيت" أنه حتى الآن لم يدرس نقاد الرواية ومنظروها عنصر التواتر السردي – إلا قليلا – على الرغم من أهميته الزمنية القصوى، ويعني: مسألة تكرار بعض أحداث المتن الحكائي على مستوى السرد، ويتمثل في العلاقة بين العملية السردية للحدث و التشكيل الزمني، فاذا كان التتابع الزمني يعنى بحركية المسار الزمني... فإن التواتر يعنى بطبيعة هذا المسار، و يُعدُ مظهراً من المظاهر الأساسية للزمنية السردية(٢). وينشأ عن هذا المظهر الزمني الحالات التي ذكرناها آنفا.

والتواتر التكراري؛ يظهر في تعدد الروايات كما هو أكثر رواة قصص الأنبياء...

أما التواتر التأليفي فهو حالة التكثيف السردي للزمن الطويل الممتد، الذي تشعر به الذات لكن السارد يختزله في العملية السردية في جمل أوفقرات أو تعبيرات موجزة، ويقترن بالأحداث؛ أي هو القص الذي ينقل في الخطاب مرة واحدة ماحصل في الحكاية أكثر من مرة.

ومن التكرار ما يحيل عليه الثعلبي ببعض العبارات التي نكتشف من خلالها أنه ذكره في موضع آخر، وهو التواتر التأليفي الذي يحدث مرة واحدة في الحكاية

(١) معجم السرديات:ص:١٢٢.
(٢) انظر: جيرار جينيت،خطاب الحكاية،ص:١٣٠.

ويكرره السارد العديد من المرات، من ذلك قوله في قصة يوسف:« ومما يؤيد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة أنه نص على نبوته والإيحاء إليه في غير ما آية في كتابه العزيز، ولم ينص على واحد من إخوته سواه، فدل على ما ذكرناه. ويستأنس لهذا بما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم". انفرد به البخاري ورواه عن عبد الله بن محمد، وعبدة، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به. وقد ذكرنا طرقه في قصة إبراهيم بما أغنى عن إعادته هاهنا، ولله الحمد والمنة"(١).

ومن ذلك التكرار أيضا ذكر ألفاظ كثيرة لمعنى واحد لتأكيد المعنى، كما في قوله " والمقصود أن فرعون احترز كل الاحتراز ألا يوجد موسى[...]فلا تلد امرأة ذكرا إلا ذبحه أولئك الذباحون، [...]، فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان" (٢).

وما يلاحظ على سرد الثعلبي في بعض الروايات هو أنه يكثر تكرار بعض الأحداث التي فيها خلاف من أجل الوقوف على الرواية الصحيحة، ولا شك في أن هذا التواتر يؤدي إلى تباطؤ السرد.

أما التواتر الإفرادي عند الثعلبي ، فيوجد في العديد من المواضع في الكتاب؛ كقصة حجاج آدم عليه السلام وموسى عليهما السلام(٣"، التي ذكرها مرة واحد ولم يعد إليها، وكذلك الإضافات التي لم ترد في قصص الأنبياء في القرآن الكريم فإنه يذكرها ولا يعود إلى ذكرها مرة أخرى.

أما التواتر التأليفي: فمنه ماجاء في قوله في قصة يوسف – عليه السلام – عندما حاول الإخوة إقناع يعقوب بأخذ يوسف معهم:" لم يزالوا بأبيهم حتى بعثه معهم فما كان إلا أن غابوا عن عينيه فجعلوا يشتمونه ويهينونه " (٤). ولا شك في أن عبارة

(١) (م.ن) ص١٥٥-١٥٦.
(٢) (م.ن) ص٢٠٠.
(٣) الثعلبي:٢١.
(٤) (م.ن)ص:١٥٨.

لم يزالوا بأبيهم تدل على كثرة الإلحاح في الحكاية، أي تكرار المحاولة في الحكاية كما يفترض أنها جرت بالفعل، ولكن السارد ذكرها مرة واحدة في الخطاب.

"وإذا كان هذا هو الشأن في متون القصص فإن الأسانيد تقوم على خلافه، فخطاب الراوي الأول قد وعاه الراوي الثاني وحدث به الراوي الثالث فنقله بدوره إلى رابع وهذا إلى خامس وهكذا دواليك. وبهذا يكون التواتر المستخدم في هذه الروايات التي يعيد بعضها بعضا في الظاهر على الأقل هو القص الإعادي أو التكراري. ومن هنا تنشأ مفارقة طريفة لعلها تمثل خصيصة من خصائص زمن القص في مدونات قصص الأنبياء، فموضوع القصص عادة القول الفريد أو الحدث المشهود ويعبر عنهما بالقص الإفرادي إلا أن هذا القص يعاد إنتاجه مرارا فيتداوله الرواة ومن ثم يصبح قصا إعاديا فمن العابر ينشأ المتواتر ومن الاستثنائي ينشأ المتداول"(١).

ومن نماذج التكرار ماجاء في قصة داود عليه السلام حين ابتلي بالخطيئة: «قال:فسكت أوريا ولم يجبه، فدعاه فلم يجبه، فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى:الويل ثم الويل لداود، سبحان خالق النور، لويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، لويل لداود ثم الويل الطويل له إذنصبت الموازين القسط ليوم القيامة، سبحان خالق النور، لويل لداوود ثم الويل الطويل له إذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة، سبحان خالق النور، لويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع إلى المظلوم، سبحان خالق النور، لويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين إلى النار، سبحان خالق النور. " (٢).

ويسمى القص الإعادي أو المكرر، وهو القص الذي يسرد أكثر من مرة في الخطاب حدثا لم يحصل في المغامرة إلا مرة واحدة، ويوظف هذا النوع من القص لطاقة الإعادة فيه باعتباره يكثف حضور حدث لغايات مختلفة فنية أو نفسية أو فكرية.(٣)، وإذا اعتقدنا أن داود قد قال ذلك، فإننا نعد هذه الفقرة على الرغم من تواتر العبارات المتشابهة من قبيل التواتر الإفرادي، أي ما قيل في الحكاية مشابه في عدد المرات ما قيل

(١) محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي ،ص ٣٩٩ (بتصرف يسير)
(٢) الثعلبي،قصص الأنبياء، ص:٢٨٥.
(٣) انظر: الصادق قسومة، علم السرد، ص٢٣٠

في الخطاب، وبالتالي ربما متخيل القص جعل داود يعيد ويكرر الاستغفار لأنه في ديننا نكرر المناجاة لله، وقد يكون في استخدام مفردة (النور) والتكرار بهذه الصورة مايوحي بالتأثر ببعض العقائد كالصوفية !

ومن أبرز مظاهر التواتر في قصص الأنبياء أن تروى قصة واحدة في أكثر من موضع كقصة "الغلام الصالح" التي ذكرت في قصة الخضر، وقصة إلياس عليه السلام، وقصة عجوز بني إسرائيل(١). وهذه الصيغ الترددية للزمن السردي ذات بعد تكراري غايتها التأكيد أو الوصف أو الاختصار.

ومن ظواهر التكرار في قصص الأنبياء كذلك أن تروى القصة الواحدة بأكثر من طريقة تبعا لتعدد الرواة، فكل راو له طريقة في القص ناتجة من رؤيته للقصة ومن هنا امتازت بعض قصص الأنبياء بالتكرار، وهذا نهج متبع في القصص القرآني فتكرار المتن الحكائي يحمل أكثر من دلالة، "والتكرار أحد نظم صوغ المتون في السرد الحديث حيث لا تكتفي بعض المتون بأن تقدم مرة واحدة، وإنما تعتمد نظاما يكررها أكثر من مرة "(٢).

والتواتر السردي كثير في قصص الأنبياء ولنأخذ على ذلك مثالا قصة موسى التي تكررت في القرآن، وتواترها في مصنفات قصص الأنبياء جاء بالمثل: وقد استغرقت عند الثعلبي مايربو على تسعين صفحة (من صفحة ١٦٩ إلى صفحة٢٥٢)ابتدأها بقوله :"مجلس في ذكر صفي الله موسى عليه السلام"

وتبرز قيمة التواتر من خلال تكرار الوحدات السردية في مواقع مختلفة من النص .وهو مايمكن أن يشمل القصة الإطارية أو المحورية ؛ وهي التي تتكرر في مواضع متباينة ومتباعدة، ويمكن أن يمثل لهذا بحدث نبوة محمد صلّى الله عليه وسلّم حيث قامت بعض مؤلفات قصص الأنبياء عليها ... وتكررت وترددت كثيرا.

ومنها:"عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما

(١) انظر: الثعلبي ، قصص الأنبياء ، ١٩٩
(٢) انظر: محمد الكواز، مملكة الباري ، قصص الأنبياء. ص٨٩

خلقت آدم ولا الجنة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن"(١). وفي موضع بعده:" فلما أتم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشنفه وسوره وختمه ومنطقه وألبسه من لباس الجنة، وزينه بأنواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في جبينه كالقمر ليلة البدر»"(٢)، وبعده بقليل في صفة خلق حواء: " وفي بعض الأخبار أن آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده إليها فقالت الملائكه يا آدم فقال:ولم وقد خلقها الله تعالى لي؟ فقالت الملائكة:حتى تؤدي مهرها.قال: ومامهرها؟ قالوا: أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات. قال: ومن محمد؟ قالوا: آخر الأنبياء من ولدك، ولولا محمد ما خلقت"(٣). فالتركيز على نبوة محمد وتكرار هذا الشاهد وتواتره في مواضع متباينة يحمل دلالت كثيرة ، من أقربها ؛ العناية بهذا الحدث .

(١) قصص الأنبياء ،الثعلبي ، ص: ٢٦
(٢) (م.ن) ص: ٣٠
(٣) (م.ن) ص: ٣١

الخاتمة

لقد وظف الثعلبي الزمن توظيفا فنيا –إلى حد ما– من خلال استخدام تقنيات الاستباق والاسترجاع والمدة والتكرار، فجاء زمن قصص الأنبياء مرتبا في عرائس المجالس لا كما هو في مصادره من القرآن الكريم والحديث الشريف وإنما وفق مقاصد الرواة وغاياتهم، وأجلى ما كان التفنن في الترتيب الزمني للأحداث عند الثعلبي حيث اقتربت مدونته من النص القصصي الإنشائي الخالص، وظهرت براعته في امتلاك ناصية الحكي وحسن ترتيبه منطلقا من مقدمة إلى خاتمة.

وتوافرت كل تقنيات الزمن في مدونة الثعلبي ولكن بشكل متفاوت ، والاستباق أقل انتشارا من الاسترجاع لكنه ليس أقل منه أهمية، فقد يوجد في افتتاح النص أو العنوان ليستشرف أو يتنبأ بما فيه . وللاستباق والاسترجاع في القصص وظائف عدة منها: أن الاسترجاع يسهم في إتمام الفهم أوتدارك النقص، وتوضيح الغموض الحدثي، إضافة إلى دوره في ترتيب النصوص والتشويق لها.

أما الاستباق فيسهم في سد ثغرة لاحقة في النص، والأنباء بما سيحدث لاحقاً من أحداث، وخلق حالة انتظار وترقب عند القارئ، وأيضا له دوره في محاولة ترتيب القصة والتشويق لها ، وله طريقته في سرد الأحداث وتوليفها والتحكم في النظام الزمني من خلال الوقفات والمشاهد والتلاعب بتقنيتي الإبطاء والتسريع.

جاءت الوقفات الوصفية مسترسلة أحيانا وأحيانا يتخللها السرد، والوقفة في عرائس المجالس أدت وظائف عدة منها: إعطاء السارد فسحة ومجالا للتدخل أو الانتقال من موقف إلى آخر، كما قامت بوظيفتين

أساسيتين تتمثل الأولى بالطابع الجمالي الموروث عن البلاغة التقليدية التي كانت تضع الوصف ضمن محسنات الخطاب وزخرفته، أما الوظيفة الكبرى الثانية فهي الوظيفة التفسيرية.

ولعل توظيف الوقفة كان مكثفا عند الثعلبي الأمر الذي جعل نصوصه أكثر شعرية، ومن الوقفة ما يأتي كالخاتمة الشعرية للقصة، وأكثر ما تكون الوقفة عند الثعلبي لأخذ العظة والعبرة.

أما التلخيص فيستعمل لأداء وظائف عدّة هي:

المرور السريع على فترات زمنية طويلة، وتقديم عام للمشاهد والربط بينها، وتقديم عام لحياة نبي، والإشارة السريعة الى الثغرات الزمنية وما وقع فيها من أحداث.

كذلك تنوع الحذف في قصص الأنبياء في مدونة البحث بين الحذف الصريح والحذف الضمني. والتواتر السردي كثير في قصص الأنبياء، وقصة موسى –عليه السلام – من أجلى النماذج التي تكررت في القرآن، وتواترها في عرائس المجالس جاء بالمثل.